

## القراءة الرخيصة - أحاديث السيدات - حرمة البيوت مفارقات العصر

(١)

القراءة ينبوع التجدد ، والذي لا يقرأ ينكش شيئاً فشيئاً ، وتتضاءل شخصيته كلها ، تقدمت به الحياة ، ويخسر عن الموجة العقلية في عصره فيرتد إلى عصر سابق ، ويبدو قطعة أثرية قديمة ليس لها قيمة الآثار !

ولكن ، اذا يقرأ الانسان ليتمتع بمزايا القراءة التي أملقنا ؟ .

يجب أن يقرأ شيئاً ذا قيمة ، شيئاً يمنحه المعرفة ويعطيه ما ليس يملكه ، ويبحث فيه الطموح والإشراق ، ويوسع آفاق الحياة في نظره ، ويكبرها في عينه ، فلا تعود وهي "الروتين" اليومية والوقائع التافهة التي تتكرر كل صباح ومساء .

واذا نظرنا إلى القراءة على هذا النحو حالنا ما نراه من حالة الشباب المصري في هذه الأيام ! إن هذا الشباب من الجنسين لا يقرأ أصلاً ، وإذا قرأ فانما يانهم المجلات والكتب الرخيصة ، يلتمهم مجلات الخبر التافه والنكتة المؤذية ، وكتب الحادثة المثيرة والتساية الرخيصة بينا المجلات الأدبية كاسدة ، والكتب الجديدة بائرة .

إنه شباب فراغ يثد التسلية ويخرج منها أفرغ مما دخل فيها ... إن خبر فلان الذي طلق فلاة وصوره الشاب الذي وقف أمام صوانه يستعرض "كرفاته" ! وقصة المرأة التي سرقت زوج صديقتها ، وحكاية اللص الذي ضال الشرطة ... إلى آخر هذا الكلام الفراغ هي التي تشغل فراغ شبابنا المصري ، وحياتهم كلها فراغ .

وبينا يشتغل الشباب المصري بهذا الهراء ، يلتمهم شباب فلسطين وسوريا ولبنان والعراق والمجاز والسودان ومراكش وتونس ، كل ما تخرجه المطابع من الكتب العلمية والأعمال الفنية ، ويتعمون آثار كبار الأدباء والعلماء في مصر وفي العالم ، وينضجون بسرعة ، ويتولون زمام النهضة العربية بامتحتاق .

في مصر كتاب وعلماء الصف الأول ، ودولاء هم الذين يسترون موقفها بين الأمم العربية ، ويكسبونها مركز الزمامة ، ولكن الصف الثاني المتهم بالتقدم واحتلال المكان الأول ليس في مصر ، لأن الثبان المصريين لا يقرون إلا التساهة ولا يتبينون لأن يخافوا كتاب الجيل الحاضر وعلماءه وشمرأه وفنانيه .

وإن الإنسان ليدعش اليوم وهو يرى السوق مهيئة بمجلات تافهة كلها نسخ مكررة وكلها تستنفد وقت الحياة الثمين الذي تجود به الدنيا على الناس مرة واحدة فيضيعونه في هذا المذرة ، بل أن يوسعوا آفاقه بالاطلاع المنيد .

إنني لأقرأ هذه المجلات أسبوعاً ثم أحملها عدة أسابيع ثم أعود اليها فكانت هي لم تتغير ولم تتجدد خلال هذه الأسابيع ، وكل ما حدث أن تغيرت الأسماء التي تجمها في أحبارها التافهة وفكاداتها المبتذلة ، ولولا عملي الصحفي ما قرأتها ولا خسرت شيئاً بإعمالها ، بل لكبت الوقت ، والارتفاع النفسى عن هذه المقاذر ، واحترام الحياة عن تقضيته في هذا العيب الذى لا يالفه إلا الفارغون .

إنها لعنة تصيب المصريين ولا حياة لها في غير مصر من الأقطار العربية جميعاً ، فليتنبه لها المصريون !

## ( ٢ )

أصغ قليلاً وأنت في الترام أو القطار أو السينما أو المسرح الى ما بدور بين سيداتنا من الأحاديث — أو لا تصغ فستبغك أصواتهن على الرغم منك ومن أصوات المنظرين والمثلات — تجد أنهن قد أخذن في أحاديث عجيبة بصوت مرتفع كأنهن خطيبات في قاعة للحاضرات !

وماذا أنت سامع ؟ أحاديث عن أسرار عائلية لا ينبغي أن تذاع ، أو عن شؤون خاصة من تفصيل ملابس ، وشراء أثاث ، وخطوبة بنات ، وخصومة قريبات ، وأخبار حفلات ... جميعها لا يعنى أحداً من الركاب أو النظارة ، وليس هذا مكانها المناسب ولا وقتها المختار ، ولكنها تلتقى من التوافد وفوق المقاعد ، وتضجك الأسماع التي لا تريد سماعها ولا ينبغي لها أن تسمعها لولا " دردشة " السيدات .

لكأن هذه الأسمعة قد ركبت في أفواههن لغرض واحد هو أن تتحرك باستمرار فتشغل ذات اليمين وذات الشمال على كل الأذان جميع ما ينبغي أن يصان ، أو ما لا يستحق أن تشغل به الأذهان .

وتكون السيدة جالسة منفردة فإذا هي هادئة وقورة ، فما أن تدخل سيدة أخرى — تعرفها أو لا تعرفها سواء — حتى يذهب الهدوء كله ، ويتبخر الوقار كله ، وفي غمضة عين إذا هما متعارفتان وإذا هما تتحدثان في أخطر المسائل وأنفهنها على السواء ، وإذا بقيت الركاب أو المتفرجين قد عرفوا موضوع الحديث بفضل ارتفاع الأصوات ، وقد يكون الموضوع من أخص شؤون العائلات !

فاذا قامت المناحرات في الملابس والمسكن والمركز الاجتماعي فهنا ينقلب الحديث مظهرة. كل منهن تذكر أسماء بيكوات وباشوات — بلا مناسبة — إلا أن يعرف الناس أنهم من أقاربها أو معارفها وكل منهن تلوك أسماء محلات تجارية راقية ... حتى يعلم الناس أنها من زبائنها . وكل منهن اشترت كيت وكيت وخاطت فساتينها عند " مدام " فلانه حتى يسمع الناس بذلك الخبر العظيم . ولا تنفض المظاهرة حتى يقف القطار في محطة الوصول أو عندما ينتهى العرض ويعزف السلام !

كل هذه ولا شك مظاهر من سوء الذوق ، ومن ضعف الشخصية ، يجب أن ننبه الى مقاومتها في المدرسة عن طريق الارشاد والسلوك ، وفي الأسرة عن طريق الأمهات المثقفات ، حتى يكون لنا جيل آخر من السيدات .

### ( ٣ )

كثيرا ما تكون في دارك بين أهلك وامرئك ، فما تشعرزون إلا وكلمة بذيسة أو جملة نابية أو حركة وثقة تنفض اليكم من النافذة أو تصعد اليكم من الطريق !

ما هذا ؟ إنهم جماعة ممن لا خلاق لهم يتباداون الشتائم القذرة أو النكات الساقطة . أو واحد فقط يسلى نفسه في الطريق العام !

مظاهر لا نظن أن له مثيلا في شعوب العالم جميعا .

وإنه ليعجبنى قول الأستاذ يرم التونسي في مناسبة من هذه المناسبات وهو يعدد المظاهر التي لا نظير لها في العالم :

ولا واحد طالع يجرى وواحد تانى يجرى وراه

ويقول له أدبني حصلتك يا بن اللى أبصر أيه عملاه !

هذا اعداء على حرمة البيوت منشؤه سوء التربية وتهاون الجمهور ، فلو أن هؤلاء الذين يعتقدون على حرمة الأسماع في البيوت الآمنة يجدون من سكانها مقاومة تردعهم ، لحسبوا حسابا للسكان .

على أن هناك اعتداء من نوع آخر أشد وأعنف، فهأنت ذا جالس في دارك مع أهلك من نساء ورجال وفتيات وصبيان ، وإنك لتجهد نفسك في تربيتهم وتقويم أخلاقهم ، وتحرسهم من الاختلاط بالأوساط الواطية، ولكن ها هو ذا راديو الجيران أو القهوة التي تحت المنزل يصب في آذانكم جميعا " بلاش تبوسنى فى عينى " أو ها هو ذا المذيع يقول لك : " نحن فى صلاة فلانة " وعليك أن تسمع أنت وأهلك ما يدور فى الصلوات من فحش ولو لم تكونوا من رواد الصلوات !

هذه حالة لا تطاق ، واعتداء على حرمة البيوت لا يفتقر ، وإذا استطعنا أن نقاوم السفلة الذين يمرضون علينا سماع ألفاظهم الفذرة وحركاتهم الوقحة ، فكيف نستطيع أن نقاوم راديو الجيران و " ألو ألو تسمعون الآن " ؟

#### ( ٤ )

كثيرون يتخبطون بين التقليد وبين التمسك بالتقاليد ، فلا هم محافظون ولا هم مجددون ولا هم شريكون ولا هم غريبون ، ولا هم متدينون ولا هم إباحيون . . .

وتقع من هؤلاء مفارقات عجيبة مضحكة تدل على هذا التارجح النفسى والفكرى ، وتدل فى الوقت ذاته على ضعف الشخصية واضطراب العقلية .

من هذه المفارقات أن يحتفل ناس بالعام الهجرى فى حفلات راقصة تدور فيها الكؤوس ، وتلحج للصور . فقيم كان الاحتمال بهجرة النبى الذى حرم دينه الخمر ونهى عن الاختلاط المثير ؟

ولكنها مفارقات العصر . . .

ومن هذه المفارقات أن يحتفل العائدون من الحج والعائدات ، على طريقة الاحتمال بالعام الهجرى فى سهرات ورقصات وكؤوس مترعات ، وما كان أغناهن عن الحج وعن الاحتمال ولكنها مفارقات العصر وما أكثر هذه المفارقات .

متى يثوب هذا الفريق من الناس الى شخصية قوية ، والى إتظة قومية ، والى اعتزاز بأنفسهم وأوطانهم ، ومباهاة بتقاليدهم وشعائرهم ؟

انهم سيثوبون يوم يجدون الاحتقار الصامت من الوطنيين الصميمين . المعتزين بقوميتهم ، الشاغبين بأنوفهم ، لأنهم من سلالة أمة عريضة وشعب عظيم .